لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٨ - ٩)

# سِرُّ الاسْتِغْفَارِ

## عَقِبَ الصَّلَوَاتِ

وَيَلِيهِ

# ثَمَرَةُ التَّسَارُعِ

## إِلَى الحُبِّ فِي اللهِ تَعَالَى وَتَرْكِ التَّقَاطُعِ


تَأْلِيفُ

العَلَّامَةِ الشَّيْخ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيّ الدِّمَشْقِيّ

(١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ)

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ

مُحَمَّد بْن نَاصِر العَجَمِيّ


سَاهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الخَيْرِ مِنَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم


دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّة

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار البشائر الإسلاميّة
للطّباعَة وَالنّشْر وَالتّوزِيع هَاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فَاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb بَيروت - لبنان صَبْ: ١٤/٥٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

## تصدير المجموعة الثانية

الحمد لله وكفى، والصَّلاة والسَّلام على عباده الذين اصطفى، لا سيَّما سيِّدنا المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل العدل والإنصاف والوفا، ومن على إثرهم ــ إلى يوم الدِّين ــ اقتفى.

**وبعد:**

فقد يسَّر الله تعالى وله الفضل في موسم هذا العام (١٤٢٠هـ) التقاء الأحبَّة، وتجدَّدت مجالس الخير في رحاب بيت الله الحرام تجاه الكعبة المُشَرَّفة، وقد عَلَتْ هِمَمُ الإخوة ــ بحمد الله وتوفيقه ــ وزاد نشاطُهم فزادت رسائل هذا الموسم، وتضاعفت، وقد تلقَّى أهلُ العلم وطلبته المجموعة الأُولى من رسائل لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام بالقَبول والتِّرحاب والتَّشجيع، وطلب المزيد من ذلك؛ فالحمدُ للَّه الذي بنعمته تتم الصَّالحات، وتتنزل البركات، وتزداد الخيرات.

وبفضل من الله تعالى وتوفيق منه عزَّ اسمه تمَّ هذا العام قراءة ومعارضة وإعداد الرَّسائل التالية:

١ ــ سِرُّ الاستغفار عقب الصَّلوات، للعلاَّمة جمال الدِّين القاسمي.

٢ ــ ثمرة التَّسارع إلى الحُبِّ في الله تعالى وترك التَّقاطع، للعلاَّمة القاسمي، كلاهما بتحقيق دُرَّة الكويت الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

٣ ــ الفصيحة العجما في الكلام على حديث: «أحبب حبيبك هوْنًا ما»، للشيخ أحمد البربير البيروتي، بعناية الأُستاذ المتفنن الشيخ رمزي بن سعد الدِّين دمشقية.

٤ ــ تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور، للشيخ أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي، بعناية الشيخ رمزي دمشقية.

٥ ــ جزءٌ فيه ذكر حال أبي عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عباس وما قيل فيه، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، بعناية راقم هذه السُّطور.

٦ ــ عِقْدُ الجُمانِ في بيان شُعبِ الإيمانِ، للسيِّد محمد مرتضى الزَّبيدي، بعناية كاتب هذه الكلمات.

٧ ــ إرشادُ العباد في فضل الجهاد، للعلاَّمة المُسْنِد الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار الدِّمشقي، بعناية الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

٨ ــ العروس المَجْلِيَّةُ في أسانيد الحديث المُسلسل بالأوَّلية، لصفيِّ الدِّين البخاري، بتحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

٩ ــ إيضاح المَدَارك في الإفصاح عن العواتك، للسيِّد محمد مرتضى الزبيدي، بعناية الأستاذ المربي مساعد بن سالم العبد الجادر.

١٠ ــ إخلاص الوِدادِ في صِدْقِ الميعادِ، للعلاَّمة مرعي الكرمي الحنبلي، بعناية الشيخ الباحث خالد بن العربي مُدْرِك الحَسني.

١١ ــ ما يفعله الأطبَّاء والدَّاعون بدفع شرِّ الطاعون، للعلاَّمة مرعي الكرمي، بعناية الشيخ خالد بن العربي مُدرك الحسني المغربي.

١٢ ــ القول المعروف في فضل المعروف، للعلاَّمة مرعي الكرمي أيضًا، بعناية الشيخ محمد أبو بكر عبد الله باذيب اليماني.

١٣ ــ وصية تقي الدين السُّبكي، لولده محمد قاضي الرَّكب وناظره، بعناية مسطِّر هذه الكلمات.

١٣ ــ مسائل تحليل الحائض من الإحرام، للقاضي الإمام شرف الدين ابن البارزي، بعناية كاتب هذه السطور.

نسأل الله المزيد من فضله، والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

كما نسأله تعالى أن يجزي كلَّ مَنْ ساهم في هذا المشروع بقلمه ووقته وعلمه وماله خير الجزاء، وأن يكون في موازين حسناتهم يوم القيامة ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

اللَّـهُمَّ يسِّر لنا العودة لأمثالها سنين مديدة ومرَّات عديدة، في أمن وإيمان، وسلامة وإسلام، وصحَّة وعافية، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

الفقير إلى الله تعالى

نظام محمد صالح يعقوبي

الجمعة ٢٣ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ

تجاه الكعبة المشرَّفة ببيت الله الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمُد للّٰه رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على سيِّد الخلق وحبيب الحق صلَّى اللّٰه عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

**أمَّا بعد:**

فمواصلةً لرسائل لقاء العشر الأواخر في الرِّحاب الطَّاهرة بمكة المعظَّمة يأتي إخراج هذه الرسالة والتي تليها لعلَّامة الشَّام الشيخ جمال الدِّين القاسمي رحمه اللّٰه تعالى.

فالرسالة الأولى: في الاستغفار عقب الصلوات، وهي ردٌّ على من توهَّم أنه لا يجوز الاستغفار بعد الصلوات من غير دليل ولا برهان، وسياق جملة من الأحاديث الواردة في الاستغفار بعد الصلاة، وسرُّ الاستغفار عقب كثير من أعمال الطاعات والعبادات.

وأما الرسالة الثانية: فهي إيراد طائفة من الأحاديث النبوية العطرة والأقوال المصطفوية الشَّريفة في بيان فضل الحب في اللّٰه والبغض فيه، وكراهة التقاطع والتَّشاحن والبغضاء بين المؤمنين.

**وصف المخطوطات المعتَمَدة في ذلك:**

الرسالتان كلاهما بخط المؤلِّف الفارسي الأنيق.

تقع الرسالة الأولى «**سرّ الاستغفار**» في خمس ورقات، وهي مسودة كما هو ظاهر من التشطيب على بعض السطور فيها، وعدد الأسطر فيها **٢٥** سطرًا، ولم يذكر متى انتهى منها.

أما الرسالة الثانية «**ثمرة التسارع**» فتقع في خمس ورقات أيضًا، وعدد الأسطر فيها **٢٣** سطرًا، وانتهى من هذه الرسالة في **١٩** شوَّال سنة **١٣١٣**هـ[١].

هذا وقد قمتُ بخدمتهما وتخريج ما فيهما من حديث.

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك ونتوب إليك، ونسألك صلاح أحوال المسلمين، وأن تجعل الأُلفة والمحبَّة بينهم دائمة، والحمد للَّه ربّ العالمين.

(١) وأصل الرسالتين محفوظ لدى الأُستاذ الأديب المفضال محمد سعيد القاسمي، حفيد العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي بدمشق المحروسة.

وقال الاستاذ الامام مفتي مصر حرس المولى وجوده في تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم) تاب بالمكان اقام به ولزمه ومعناه رجع ويقال تاب العبد الى ربه اي رجع اليه لان اقتراف الذنب اعراض عن الله اي عن طريق دينه وموجبات رضوانه ويقال تاب الله على العبد لان التوبة من الله تتضمن معنى الرحمة والعطف كان الرحمة الالهية تنحرف عن المذنب باقترافه اسباب العقوبة فاذا تاب عادت اليه وعطفت ربه عليه والتوبة تختلف باختلاف درجات الناس فعبدك يتوب الليك من ترك ما امرته بفعله او فعل ما امرته بتركه وصديق يتوب الليك ويعتذر اذا هو قصر في عمل لك فيه فائدة عمانى امكانه واستطاعته وولدك يتوب اذا قصر في ادب من الآداب التي ترشده اليها ليكون في نفسه عزيزا كريما وكذلك تختلف توبات التائبين الى الله تعالى باختلاف درجاتهم في معرفته وفهم اسرار شريعته فعامة المؤمنين لا يعرفون من موجبات سخط الله تعالى واسباب عقوبته الا المعاصي التي شددت الشريعة في النهي عنها واذا تابوا من عمل سيئ فانما يتوبون منها وخواص المؤمنين يعرفون ان للكل عمل سيئ لوثة في النفس تبعدها عن الكمال وللكل عمل صالح اشرافا يقربها من الله وصفاته فالتقصير في الصالحات يعد عندهم (اي من الذنوب التي تهبط بالنفس وتبعدها عن الله تعالى فهم اذا قصرت فيها تتوب واذا شمرت لاتمام النقائص والعيوب ويختلف اتهام هؤلاء الابرار لانفسهم باختلاف معرفتهم بصفات النفس ومايعرض لها من الآفات في سيرها ومعرفتهم بكمال الله جل جلاله ومعنى القرب منه واستحقاق رضوانه ولذلك قال بعض العارفين حسنات الابرار سيئات المقربين ومن هنا تفهم معنى التوبة التي طلبها ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والتسليم اهـ

(١) من جزء ١٣ من المنار مجلد ٦

الورقة الأخيرة من «سر الاستغفار» بخط المصنف

# السيد جمال الدِّين القَاسِمي

## (١٢٨٢ ــ ١٣٣٢هـ)

## لمعالي العلاَّمة الكبير محمد بك كرد علي

وزير معارف سورية السابق ورئيس المجمع العلمي العربي[١]

تَلِدُ الولاَّداتُ كُلَّ يومٍ أولادًا، وتطوي الأرض أُناسًا لا يحصي عددهم غير خالقهم، ولكن من يؤثرون الأَثَرَ فيذكرون في حياتهم وبعد مماتهم أقل من القليل وأقل منهم في أهل هذا الشرق التعس، وفي أهلِ الإسلام خاصَّةً؛ وذلك لأن العَالَمَ الإسلامي بعد أن هبت أعاصير الاختلافات في القرون الوسطى، وحاربت حكومات تلكَ الأيام رجالات المعقولات، وأحرارَ الأفكار ضعف مستوى العقول؛ لأنها لم يطلق لها العنان، وتقاصرت الهمم لأنها لم تجد منشطًا فقل جدًّا النَّابِغُونَ النَّابهون.

وما ننسَ لا نَنْسَ ما وقعَ لشيخِ الإسلام؛ بل عَالِمُ السُّنَّةِ، وإمامِ الأئمةِ، ومجددُ شَبابِ الحنيفيةِ السَّمْحاءِ تقي الدِّين ابن تَيمِيَّة فقد عُذِّبَ في القرن الثامن سنينَ كثيرةٍ في سجونِ القاهرة، والإسكندرية، ودمشق، وناله

(١) من مقدمة «لقطة العجلان» للزركشي شرح العلاَّمة القاسمي المطبوع في مكتب النشر العربي سنة ١٣٥٣هـ بدمشق، وقد صُدِّرت هذه الطبعة بترجمة محمد كرد علي للقاسمي.

من أذى أدعياء العلم في عصره حَسَدًا منهم لمكانته ما يُبْكي تَذكُّرُهُ المُقَلَ ويهون بعده كل اعتداء على العلماء ينالهم من أهل الحشو والجُمود.

ومن قرأ تاريخَ رجالنا في القرون الثَّلاثَةِ التالية أي في القرن الثامن والتاسع والعاشر أو القرون الثلاثة التي سبقتها أي الخامس والسادس والسابع يعرف أن كثيرين قضوا شهداء أفكارهم، وعُذِّبوا وأوذوا في سبيلها؛ لأنهم رأوا غير ما رآه العلماء الرسميون، ومن مَالأَهم من أرباب الزَّعاماتِ في أيامهم.

ومنذ اضطر مِثْلُ حُجَّةِ الإسلام أبـي حامد الغزالي في القرن الخامس أن يَهْجُرَ العراق تخلصًا من حاسديه الذين لا يعدمون عندما تصبح إرادتهم حُجَّةً للاستعانة بالسلطة الزمنية للنيل مِمَّن أربـى عليهم، وإيقافِ تيار أفكاره إلى عصر ابن تيمية الذي ناله ما ناله في مصر والشَّام حَتَّى قَضَى في سجنِ دمشق شهيد الإصلاح، إلى أن جاء القرن العاشر والذي يليه من القـرون، وقـد أصبحـت العلـوم رسميَّـة والمـدارس صُـوريـةً، والأوقـاف المحبوسة على العلماء مأكولةً مهضومة.

منذ جرى كُلُّ هذا والأمة لا تكادُ تفرحُ لها بِعَالِمٍ حقيقيٍّ يكسرُ قيودَ التَّقليد، ويقولُ بالأخذ من كُلِّ علمٍ، فَنَدَرَ النُّبوغُ؛ لأَنَّه نَدَرَ أن يلقى العالم ما يُنَشِّطُ عزيمته.

وكان قُصارى من تَسمو به الهمةُ إلى أخذ نفسه بمذاهب التَّعلم والتعليم أن يقتبسَ من كُتُب الفروع ما لا يخرج به عن مألوف معاصريه.

ومن حكَّم عقله في بعض المسائل كان اتهامه بأمانته من أيسر الأشياء، وطرده من حظيرة الحَظوة لدى العامَّة، ومن سَمّوا أنفسهم بالخاصَّةِ من الأمور المتعارفة.

أما التضليل والتكفير والتبديع والتفسيق، فهذا لا يخلو منه عالم يريد أن يخرجَ بالنَّاس من الظُّلماتِ إلى النُّورِ.

ولكن إرادة المولى سبحانه قضت بأن لا تحرِمَ هذه الأُمة من أعلام يَصْدَعونَ بالحَقِّ؛ فَيُجددونَ لها أمر دينها، ويستَطيبونَ الأذى في إنارَةِ العُقولِ والرُّجوعِ بالشَّرعِ إلى الحَدِّ الذي رَسَمَهُ الشَّارِعُ وأصحابه، والتابعون، والأئمة الهادون المهديُّونَ.

● ومن هؤلاءِ المُجددينَ نابِغَةُ دمشق فقيدنا العزيز السَّيد جَمالُ الدِّينِ القَاسِمي الذي يعرِفُهُ قُراءُ هذه المجلة[1] بما نشرهُ في سِنِيِّها الماضية من آثارِ عِلْمِهِ وأدبه، فقد قضى حياةً طَيبةً، ولم يعقهُ عن الاشتغالِ ما لقيه من تثبيطِ المُثَبِّطينَ في أول أمره، وتنغيصِ الحاسدينَ في أواسط عُمْرِهِ مِمَّن لا يخلو منهم مصر ولا عصر، خصوصًا في بلادٍ يستمد منها كل شيء من ولاة أمرها.

● نشأ السَّيد القاسمي في بيتِ فَضْلٍ وفضيلةٍ، وكان والدهُ وَجَدُّهُ من المعروفين بالأدب، ومكارمِ الأخلاق.

وهذا من النَّوادرِ في عصر لا يكبر رجاله في العيون إلَّا على مقدار عدهم في صفوف أهل الرَّسم، وفي دور قل أن يُنجبَ فيه ولدٌ لنجيبٍ فصم أو تصامَمَ منذ أوائل سِنِّ التَّحصيلِ عن كُلِّ ما يقف عثرةً في سبيل الطَّالِبِ، فكانَ منذ وعى على نفسه يعملُ على تهذيبها، ولا يكادُ يمضي عليه يوم لم يستفد منه فائدة، ولم يقيد شاردةً، فظهرت عليه مخايلُ النُّبُوغِ

(١) المقتبس: مج ٨ ج ٢.

ولمَّا يبلغِ العشرين، فما بالُكَ به وقد نيف على الأربعين وقارب أن يتم العقد الخمسين؟!

جِماعُ الأسباب التي نَجح بها فقيدنا طهارةُ نفسه من المطامع الأشعبية، وشغفه بالعلم للذته، ونفعه في إنارة القلوب، واعتقاد أنَّه منج في الدُّنيا والآخرة، فهو لم يجعل الدِّين سُلَّمًا إلى الدُّنيا وجسرًا مؤقتًا يجتاز عليه لحيازة مظهر خلَّاب، والتَّصدر في المجالس بمفاخر الهندام، وبرَّاق الثياب، **بل فرَّغ قلبه ووقته للعمل النافع فَبُورِكَ له بساعاتِ عمره القصير ويا للأسف!**

ولو عددنا ما كتبه من مصنفات وقسناه بالنسبة لهذا العصر الذي أضحت فيه بضاعة العلم مُزجاة بائرة لما قل عن اللِّحاق بالمكثيرين من التأليف في المتأخرين أمثال السُّيوطي، وابن السُّبكي، وأضرابهما مع ملاحظة ما بين العصور والبيئات من الفوارق.

● تذرَّع الفقيد بعامة ذرائع النفع لهذه الأُمة، فكان **إمامًا** في تآليفه الوفيرة، **إمامًا** في دروسه الكثيرة، **إمامًا** في محرابه ومنبره ومصلاه، رأسًا في مضاءِ العزيمة، **رأسًا في العِفَّةِ، وهذه الصفة هي السِّرُّ الأَعظم الذي دار عليه محور نبوغه،** لأَنه لو صانع طمعًا في حطام الدُّنيا لما خرج عن صفوف أهل محيطه، ولكان عالمًا وسطًا، يشتغل بالتافهات ويعيش في تقية ويموت كذلك.

● كان أجزل الله ثوابه إذا لقيه المُماحك في أحد المجامع عرضًا أو غشيه في درسه وبيته ناقدًا أو ناقِمًا علَّمه من حيث لا يشعر، وهداهُ إلى المحبة بلين القول، فإذا أيقن أنَّه من المكابرين المموهين أعرض عنه وقال

سلامًا، ولذلك لم يلق ما لقيه أشداء العلماء والفلاسفة في العصور الماضية من الإرهاق والإعنات أمثال ابن حزم الأندلسي، والشِّهاب السهروردي، لأنَّه كان يتلطف في المُناظرة وإقناع المخالف فإذا رأى المناقش بمعزل عن الفهم سكت عنه.

نعم كان مثال التلطف في بث الفكر فلم يصك به ــ كما قيل ــ معارضه صك الجَنْدَلِ ويُنشقه متلقنه انتشاق الخَرْدَلِ.

● قام الأستاذ في دورٍ زهد النَّاس فيه في العلوم الدينية إلاَّ قليلاً، فأعاد إليها في هذه الدِّيار بنور عقله شيئًا من بهائها السابق، ولقد كان يجتمع به المُوافق والمُخالف فما كانا يصدران عنه إلاَّ معجبين بعقله مقرين بفضله معترفين بقصورٍ كثير حتى من المشاهير عن إدراك شأوه: **يخلب الألباب، ويستميلُ العقول، فكأنَّه خلق من معدن اللُّطف ورقَّةِ الشمائل.**

لم تجد الغلظة سبيلاً إلى قلبه، ولا الفظاظة أثرًا في كلامه وقلمه، ولا عجب إذا كثر في آخر أمره أنصاره، وعشقته النُّفوس فأكبرت الخطب فيه. جاء في الأثر: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلاَّ من كان فقيهًا فيما يأمر به فقيهًا فيما ينهى عنه رفيقًا فيما يأمر به رفيقًا فيما ينهى عنه حليمًا فيما يأمر به حليمًا فيما ينهى عنه.

دخل عبد اللطيف البغدادي فيلسوف الإسلام على القاضي الفاضل فقال: رأيت شيخًا ضئيلاً كله رأس وقلب، وهو يكتب ويُملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام، وكأنَّهُ يكتب بجملة أعضائه.

**وهذا التَّعريفُ يصدقُ من أكثر وجوهه على الشَّيخ القَاسمي؛ فإنَّهُ**

**كان نحيلَ الجِسْمِ، كبيرَ الرُّوحِ**، ولو تهيأ لجمال الدِّين مثلَ صلاح الدِّين لسرت أفكاره أكثر مِمَّا سَرَت، وراقت أسفاره أكثر مِمَّا وُفِّقَ إليه؛ ولكن إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ.

وقديمًا زكا غَرْسُ العلم في الشَّرْقِ في ظل الملوكِ والأُمراء، واليوم يزكو في الغرب في حمى الجامعات والمجامع والجمعيات، والعلم مذ كان محتاج إلى العلم.

● بَرَزَ الفقيدُ الرَّاحِلُ وأيّ تبريزٍ في علوم الشَّرع وما إليها، ولم يَفُتْهُ النَّظَرُ في علوم المدنية، فَأَلَمَّ بأَكثرها إلمامًا كافيًا؛ لتكونَ له عونًا على فهم أسرارِ الشَّريعة.

أَمَا وقد جمعَ الفضيلتين، فلا تَجِدُ لكلامه مسحةً من الجُمودِ المعهود لكثيرين ممن يقتصرونَ على العلم والعلمين، ويعدون ما عداهما لغوًا.

فهو عَالِمٌ دينيٌّ كَامِلٌ؛ ولكنه كان يقرأ العلوم المدنية، ويطالع صُحُفَها وَمَجَلَّاتِها، وكُتُبِها الحديثة كما يطالعها المنقطعون إلى هذه العلوم وزيادة، ولا ينكر شيئًا يقال له عِلْمٌ أو فن، ولذلك لم يَمُجَّهُ العصريون ولا غيرهم.

● ربما قال من لم يعرف أن هذا كلامُ صَدِيقٍ فُجِعَ بصديقٍ تسلسلت الصَّداقةُ بين بيتيهما منذ نحو ثمانين عامًا، وعينُ الحُبِّ رمداء، أما أنا فلا أُحِيلُ المعترض إلَّا على الرُّجوع إلى كُتُبِ الشَّيخ وقراءة بعض ما طبع منها، وتحكيم العَقْلِ والإنصاف، وأنا الضَّامِنُ بِأَنَّهُ لا يلبثُ أن يُساهمني قولي ويُوقِنُ **بأن المرحوم جَوَّدَ تآليفه التي تَنُمُّ عن عقله وَعِلْمِه أكثرَ مِمَّا جَوَّدَها كثيرٌ من متأخري المؤلفين** من بعد عصر السُّيوطي، ممن شُهِدَ لهم بالإجادَةِ، ولو سَمحت له الحالُ أكثر مِمَّا سَمحت ومُتِّعَ بحرية

القول والعمل أكثر مِمَّا مُتِّعَ لجاء منه أضعاف ما جاء، ولكن ضيق العيش، وضيق المضطرب لا يرجى منهما أكثر مِمَّا تَمَّ على يد فقيدنا العظيم من الأعمال والآثار.

وقد أُغلقت دونه أبواب الدواعي والبواعث رحمه الله وبارك لنا فيمن خلَّفَ من مريديه ومعاصريه ومن ساروا بسيرته حتى لا نقع تحت مضمون الحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جُهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلوا».

ولقد كتبنا في تأبين الشيخ غداة وفاته في جريدة الإصلاح ما نصه[1]: **لا تحضرني عبارة تُشْعِرُ بمبلغ الحُزنِ الذي نالَ دمشق بفقد مَنْ كان عالِمُها الكبير، وأُستاذُها العَامِل النِّحرير، فقد كان أحد أفراد هذا العصر المعدودين في التَّحقيق بأسرار الشريعة.**

وهو ولا مراء عَالِمٌ الكتاب والسُّنة بلا مدافِع، خُلِقَ ليعملَ على بث الدِّين المبين، خاليًا من حشو المتأخرين الجامدين، وتضليل المخرفين والمعطلين.

● لم يكد فقيدُنا العزيز يطرق هذه الموضوعات، ويهيبُ بالنَّاس **إلى الأخذ بمذاهب السَّلَفِ**، ويتلطفُ في إبلاغها العقولَ المظلمة في دروسه وتآليفه، حتى أخذ بعض أهل الجمود يغتابونه ويحذرون عوامهم بدون برهان من الأخذ عنه ولكن ظلمة تقليدهم ما لبثت أن انقشعت بنور

---

(١) لما توفي السيد جمال الدين، كانت مجلة «المقتبس» التي كتب فيها معالي الأستاذ كرد علي هذه الترجمة محتجبة فكتب عنه في جريدة الإصلاح التي كانت تصدر يومئذ هذه الكلمة التي أعاد نشرها في مجلته.

اجتهاده وتراجع أمر خصومه بعد قليل، وقد بَهَرَ النَّاس فضله وعلمه وأنشأوا بعد أن كانوا يزيفون أقواله في مجامعهم الخاصَّة والعامَّة يتبعون أقواله المدعومة بالسُّنة الصحيحة، ومذاهب الأئمة.

وأكبر دليل على ذلك ما شهدناه يوم مشهده الأخير من إجماع من كانوا خصومه أمس على إعظام الخطب فيه، والإقرار له بفضائل كانوا في حياته يغمطونه إيَّاها **ولكن المعاصرة حرمان.**

● رأيت رجالاً كثيرين من أهل الإسلام وغيرهم، وفي مصر والشَّام خاصة **فلم أرَ همَّة تفوق همَّة صديقي الرَّاحل، ولا نفسًا طويلاً على العمل ودؤوبًا عليه أكثر منه، ولا غَرامًا بالإفادة والاستفادة، ولا حُبًّا بالعلم للعلم، فقد قضى عن ٤٩ عامًا وخلَّف ما خلَّف من عشرات من مصنفاته الدينية العصرية النَّافعة** منها: «تفسيره» الذي لم يطبع، ومنها مقالاته الممتعة وأبحاثه المستوفاة، وأثر في عقول كثير من الطلبة تخرجوا به، وأخذوا أحكام الحلال والحرام عنه، دع دروس وعظه للعامة، وحلقات خاصَّته، **ومع كل هذا كان حتى الرَّمق الأخير أشبهُ بطالب يريد أن يجوز الامتحان لنيل شهادة العالمية.**

وكلما كان يُوغل في طلب المزيد من العلم والتحقيق تراه آسفًا على عدم إشباع أبحاثه حقها أحيانًا من النظر البليغ.

● رزق الصَّديق العلاَّمة صفاتٍ إذا جُمعَ بعضها لغيره عُدَّ قريعَ دهره، ووحيدَ عصره، **فقد كان طلق اللِّسان، طَلق المحيا، وافر المادة، وافر العقل، سريع الخاطر، سريع الكتابة، جميل العهد، جميل الود.**

**وكان بلا جدال جمال الدين والدنيا، ما اجتمع به أحد إلاَّ وتمنى**

**لو طال بحديثه استمتاعه ليزيد في الأخذ عنه والتَّشَبُّع بفضائله والاغتراف من بحر علمه.**

وبينا كنتَ ترى الأستاذ على قَدَمِ السَّلف الصالِـح، عالمًا كبيرًا بين الفقهاء والأصوليين والمُحَدِّثِينَ والمفسرين إذا هو من الأفراد المُختصين بالأدب، وما يتعلق به، وبينا تراه يؤلف ويطبع، إذا بك تراه يواظب على تدريس طلبته ووعظ المستمعين في درسه وخطبه، ومع كل هذه الأعمال التي قد يكون منها انقباض في صدر العامل تراه يهش **ويبش كل ساعة، ويفسح من وقته شطرًا ليغشى مجلسه أوفياؤه وأخلاَّؤه وطلاّب الفوائد منه.**

**فهو علامة بين العلماء، منوَّر ممدن بين المنورين بنور المدنية الصحيحة.** ذهبَ مثال الرجل الصالح، عفيف الطعمة، لم يسفِ إلى ما يسفِ إليه بعض من يتذوقون قليلاً من المعارف، وما أنكر إلاَّ المنكَر ولا أمر إلاَّ بالمعروف، **ومن ضيق ذات يده كان يتصدق في السِّرِّ، ولا يخلو ساعة من عبادة وذكر، وما فقْده جَلَلٌ على دمشق بل على الشَّام بل على أهل الإسلام،** وشهرته التي نالها في العالم الإسلامي في هذه السِّن من الكهولة هي مما استحقه أو أقل مما يستحقه، لأنه حقيقةً العالم العامل الذي يُحبب الدِّين حتى لمن لم يتدين حياته.

فاللَّهُمَّ عوِّض المسلمين عن هذه الدرة اليتيمة التي أصيبوا بها وارحمه عداد حسناته، وارزقنا الصبر عليه، وجميع أسرته ومريديه وأحبابه الذين فجعوا به؟

محمد كرد علي

## مؤلفاته

وأما مؤلفاته فقد بلغت أكثر من مائة كتاب، وهذا ذكر المطبوع منها:

١ ــ **الأجوبة المرضية عما أورده كمال الدين ابن الهمام على المستدلين بثبوت سنَّة المغرب القبلية**. ط ١ مطبعة روضة الشام، دمشق ١٣٢٦هـ.

٢ ــ **إرشاد الخلق للعمل بخبر البرق**. ط ١ مطبعة المقتبس، دمشق ١٣٢٩هـ.

٣ ــ **الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس**. أتمَّ تأليفه في جمادى الأولى عام ١٣٣٢هـ، ط ١ دمشق ١٣٣٢هـ.

٤ ــ **الإسراء والمعراج**. ط دمشق ١٣٣١هـ.

٥ ــ **إصلاح المساجد، من البدع والعوائد**. ط ١ المكتبة السلفية، مصر ١٣٤١هـ.

٦ ــ **إقامة الحجة على المصلي جماعة قبل الإمام الراتب وأقوال سائر أئمة المذاهب**. ط ١ مطبعة الصداقة دمشق ١٣٤٢هـ.

٧ ــ **أوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي في تنفيذ بعض العقود على مذهب الشافعية وغيرهم**. ط ١ مطبعة الترقي دمشق.

٨ ــ **الأوراد المأثورة**. ط ١ بيروت ١٣٢٠هـ.

٩ ــ **تاريخ الجهمية والمعتزلة**. نشر أولاً بمقالات متسلسلة في المجلد السادس من مجلة المنار ثُمَّ جرد في كتاب مستقل. ط ١ صيدا ١٣٢٠هـ، ط ٢ مطبعة المنار، مصر ١٣٣١هـ.

١٠ ــ **تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب**. ط ١ مطبعة والدة عباس، مصر ١٣٢٦هـ.

١١ ــ **تنوير اللب في معرفة القلب**. مقالة كتبها في ٢٧ ربيع الثاني ١٣١٥هـ ونشرت في العدد الثاني والستين من جريدة الشام، دمشق، في ٣ صفحات.

١٢ ــ **جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل**. مقالة في مجلة المنار نشرت عام ١٣٢٥هـ.

١٣ ــ **جوامع الآداب، في أخلاق الأنجاب**. ط ١ مطبعة السعادة، مصر ١٣٣٩هـ.

١٤ ــ **حياة البخاري**. ط ١ مطبعة العرفان صيدا ١٣٣٠هـ.

١٥ ــ **خطب أو مجموعة خطب**. ط ١ دمشق ١٣٢٥هـ.

١٦ ــ **دلائل التوحيد**. ط ١ مطبعة المقتبس، دمشق ١٣٢٦هـ.

١٧ ــ **الشاي والقهوة والدخان**. ط ١ دمشق ١٣٢٢هـ.

١٨ ــ **الشذرة البهية في حل ألغاز نحوية وأدبية**. دمشق ١٣٢٢هـ.

١٩ ــ **شذرة من السيرة المحمدية**. ط ١ مطبعة المنار مصر ١٣٢١هـ.

٢٠ ــ **شرح أربع رسائل في الأصول**. الأولى في أصول الشافعية لابن فورك، والثانية لابن عربي، والثالثة في المصالح للنجم الطوفي، والرابعة للسيوطي من كتاب النقاية. ط ١ بيروت ١٣٢٤هـ.

٢١ ــ **شرح لقطة العجلان**. الأصل ــ أي: لقطة العجلان ــ من

تأليف الإمام بدر الدِّين الزركشي. جمع فيه أربعة علوم: الأصول والمنطق والحكمة والكلام، وأتمه في منتصف ربيع الأول سنة ١٣٢٥هـ. ط القاهرة ١٣٢٦هـ.

٢٢ ــ **شرف الأسباط**. ط ١ مطبعة الترقي، دمشق.

٢٣ ــ **الطائر الميمون في حل لغز الكنز المدفون**. ط ١ مطبعة روضة الشام، دمشق ١٣١٦هـ.

٢٤ ــ **فتاوى مهمة في الشريعة الإسلامية**. ط ١ مطبعة المنار، مصر ١٣٣٦هـ.

٢٥ ــ **الفتوى في الإسلام**. ط ١ في دمشق ١٣٢٩هـ.

٢٦ ــ **الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين**. ط ١ دار النفائس، بيروت ١٩٨٦ بتحقيق عاصم البيطار.

٢٧ ــ **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**. ط ١ مكتب النشر العربي، دمشق ١٩٣٥م.

٢٨ ــ **محاسن التأويل (تفسير القاسمي) في ١٧ جزءًا**. ط ١ دار إحياء الكتب العربية، مصر من سنة ١٣٧٦ إلى سنة ١٣٨٠هـ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٩ ــ **مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن**. ط ١ مطبعة المقتبس، دمشق ١٣٢٨هـ.

٣٠ ــ **المسح على الجوربين**. رسالة ألَّفها في مجالس آخرها ربيع الثاني ١٣٣٢هـ. ط ١ مطبعة الترقي، دمشق ١٣٣٢ بتحقيق قاسم

خير الدِّين القاسمي، ط ٢ مصر ١٣٧٧ بتحقيق أحمد محمد شاكر، ط ٣ المكتب الإسلامي، عمان وبيروت بتحقيق أحمد محمد شاكر.

٣١ ــ **منتخب التوسلات**. وهو متمم لكتابه الأوراد المأثورة جمعه عام ١٣١٥، وأراد به إلى الابتعاد عن الأدعية الخرافية التي تتداولها العامة.

٣٢ ــ **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**. ط ١ مصر ١٣٣١هـ، ط ٢ بيروت ١٩٨٠م بتحقيق عاصم البيطار.

٣٣ ــ **ميزان الجرح والتعديل**. ط ١ مصر، مطبعة المنار ١٣٣٠هـ.

٣٤ ــ **النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية في علم التجويد**. ط ١ دمشق ١٣٢٣هـ.

٣٥ ــ **نقد النصائح الكافية**. ط ١ مطبعة الفيحاء، دمشق ١٣٢٨هـ.

* * *

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٨)

# سِرُّ الاسْتِغْفَارِ
## عَقِبَ الصَّلَوَاتِ

تأليفُ
العَلَّامَةِ الشَّيْخ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيّ الدِّمَشْقِيّ
(١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ)

تحقيق وتعليق
مُحَمَّد بْن نَاصِر العَجْمِيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه ربّ العالمين، وصلَّى اللّٰه على سيِّدنا محمد وآله أجمعين.

**أمَّا بعد:**

فهذه رسالة في «**سرّ الاستغفار عقب الصلوات**» حداني إلى جمعها أنَّ بعض الطَلَبة نقل عن بعض الفقهاء أنَّه قال: لا يجوز للمصلِّي أن يقول بعد الفراغ من الصلاة «أستغفرُ اللّٰه» لأنَّ اللّٰه سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾. انتهى.

**فقلت**: أطبق المحدِّثون على رواية الاستغفار بعد الصلاة عن النبي ﷺ، واتفق الأئمة على ندب ذلك بلا نكير. ولا مساغ لردّ الأحاديث الواردة في ذلك عن معناها انتصارًا للرأي؛ لدلالتها القطعيَّة على ما أرشدت إليه، دلالة يفهمها العَرَبي والعَجَميّ، والبليغ والغبي؛ لظهورها نصًّا، ومجيئها على شرط الصحيح. والأعجب من هذا استدلاله بالآية على عدم الجواز مع أن الذي أُنزلت عليه ﷺ هو الَّذي سَنَّ الاستغفار بعد الصلوات قولاً وفعلاً.

**وهاك بيان الأحاديث التي رواها أئمة السنن في صحاحهم وسننهم ومسانيدهم:**

* قال الإمام مسلم في «صحيحه» في باب «استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته»:

حدَّثنا داود بن رُشَيْد قال: حدَّثنا الوليد، عن الأوزاعي، عن أبـي عمار ــ اسمه شدَّادُ بن عبد اللَّـه ــ، عن أبـي أَسْماء، عن ثوبان قال: «كان رسول اللَّـه ﷺ إذا انْصَرَفَ مِن صَلاَتِه استغفر ثلاثًا. وقال: «اللَّـهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلاَلِ وِالإِكْرَام».

قال الوليد: فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟

قال: تقول: أَستغْفِرُ الله، أَستغْفِرُ الله[1].

* وروى ابن أبـي شيبة بإسناد صحيح عن زاذان، قال: حدَّثني رجـل مـن الأنصـار، قـال: سمعـت رسـول اللَّـه ﷺ يقـول فـي دُبـر الصَّـلاة: «اللَّـهُمَّ اغْفِرْ لِـي، وتُـبْ عَلَـيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُور ــ مائة مرَّة»[2].

* وروى عبد الرزاق عن معاذ بن جبل: من قال بعد كُلِّ صلاة: أستغفرُ اللَّـه الذي لا إلـه إلاَّ هو الحيّ القيوم وأتوب إليه ــ ثلاث مرَّات؛ كَفَّرَ اللَّـه عنه ذُنوبه، وإن كان فرارًا من الزَّحْفِ[3].

* وروى ابن السنِّي وابن النجَّار عن معاذ مرفوعًا: «من قال بعد الفجر ثلاث مرَّات، وبعد العصر ثلاث مرَّات: أستغفرُ اللَّـه الذي لا إلـه

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤١٤) من حديث ثوبان، وكذلك من حديث عائشة.

(٢) أخرجه ابن أبـي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٣٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣ ــ ١٠٦) وإسناده كما قال المؤلف: صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزَّاق في «المصنف» (٢/ ٢٣٦) إلاَّ أنَّ في إسناده رجلاً لم يُسَمّ.

إلاَّ هو الحي القيوم وأتوب إليه؛ كُفِّرت عنه ذُنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر»[1].

* وروى الديلمي عن أبي هريرة مرفوعًا: «من استغفر اللَّه عزَّ وجل سبعين مرة في دبر كل صلاة؛ غُفر له ما اكتسب من الذنوب»[2].

* وروى الخطيب مرفوعًا: «أيُّ عَبْدٍ صلَّى الفريضة ثُمَّ استغفر اللَّه عشر مرَّاتٍ؛ لم يقم من مقامه حتى يُغفر له ذنوبه»[3].

والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية للمنصف.

ولا يخفى على الخبير، أن من سبر كثيرًا من جزئيات الطاعات، يرى أن الحق سبحانه وتعالى شَرَع التوبة والاستغفار في خواتيم أعمالها، فشرعها في خاتمة الحج، وقيام اللَّيل، وأَمَر تعالى رسوله بالاستغفار عقب توفِيَتِه ما عليه من تبليغ الرسالة، والجهاد في سبيله حين دخل الناس في دينه أفواجًا؛ فكان التبليغ عبادة قد أكملها وأدَّاها فشرع له الاستغفار عقيبها.

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٢٦) وإسناده ضعيف؛ فيه محمد بن سليمان الباغندي متكلَّم فيه، ومحمد بن جامع وعكرمة بن إبراهيم وكلاهما ضعيف كما في «الميزان» (٣/ ٨٩، ٤٩٨).

(٢) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» كما في «إتحاف السَّادة المتَّقين» للزبيدي (٨/ ٦٠٢)، والعزو إلى الديلمي مظنة للأحاديث الضعيفة كما نصَّ على ذلك بعض أهل العلم.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٢٤) من حديث ابن عباس، وقال بعد سياقه: «منكر جدًّا»؛ وذلك أنَّ فيه القاسم بن عمر الأنصاري، ليس حديثه بشيء، منكر الحديث. «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٤٦٣).

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾:

كثيرًا ما يأمر اللَّه بذكره بعد قضاء العبادات؛ ولهذا ثبت في «صحيح مسلم»: أنَّ رسول اللَّه ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر اللَّه ثلاثًا[1].

وقال ابن القيم في كتابه «طريق الهجرتين» في بحث ترتيب عبادة الصالحين حين دخول وقت الصلاة ما نصَّه:

«فإذا جاء وقت الفرض بادر إليه مكملاً له، ناصحًا فيه لمعبوده، كنصح المحبِّ الصادقِ المحبةِ لمحبوبه الذي قد طلب منه أن يعمل له شيئًا ما؛ فهو لا يُبقي مجهودًا، بل يبذل مقدوره كله في تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله؛ ليقع موقعًا من محبوبه؛ فينال به رضاه عنه وقربه منه.

أفلا يستحي العبد من ربه ومولاه ومعبوده أن لا يكون عمله هكذا؟ وهو يرى المُحِبِّين في إشغال محبوبهم من الخلق كيف يجتهدون في إيقاعها على أحسن وجه وأكمله، بل هو يجد من نفسه ذلك مع من يحبه من الخلق، فلا أقل من أن يكون مع ربه بهذه المنزلة. ومن أنصف نفسه وعرف أعماله؛ استحى من اللَّه أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه، وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئًا إلاَّ فعله.

**وبالجملة**: فهذا حال هذا العبد مع ربه في جميع أعماله، فهو يعلم أنَّه لا يوفِّي هذا المقام حقه؛ فهو أبدًا يستغفر اللَّه عقيب كل عمل.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٤٢، ٢٤٣، ط الحلبي).

وكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر اللَّه ثلاثًا.

وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، فأخبر عن استغفارهم عقيب صلاة الليل. قال الحسن: مدّوا الصلاة إلى السحر ثُمَّ جلسوا يستغفرون ربهم.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾، فأمر سبحانه بالاستغفار بعد الوقوف بعرفة والمزدلفة.

وشرع للمتوضِّىء أن يقول بعد وضوئه: «اللَّهُمَّ اجعلني من التَّوَّابين واجعلني من المُتَطَهِّرين»[1].

فهذه توبة بعد الوضوء، وتوبة بعد الحَجِّ، وتوبة بعد الصلاة، وتوبة بعد قيام الليل؛ فصاحب هذا المقام مضطر إلى التوبة والاستغفار كما تبين، فهو لا يزال مُستغفرًا تائبًا، وكلَّما كثرت طاعاته كثرت توبته واستغفاره». انتهى[2].

وقال رحمه اللَّه تعالى أيضًا بعد ذلك بكراريس: «فإن قيل: فما وجه خوف الملائكة وهم معصومون من الذنوب التي هي أسباب المخافة، وشدة خوف النبي ﷺ مع علمه بأن اللَّه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأنَّه أقرب الخلق إلى اللَّه؟!

---

(١) أخرجه الترمذي (٥٥) من حديث عمر بن الخطاب بإسناد صحيح.

(٢) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن قيِّم الجوزية (ص٢٢٠، ط دار البيان بدمشق).

قيل: عن هذا أربعة أجوبه:

الجواب الأول: أن هذا الخوف على حسب القرب من اللَّه والمنزلة عنده، وكلما كان العبد أقرب إلى اللَّه كان خوفه منه أشد؛ لأنه يطالب بما لا يطالب به غيره، ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره. ونظير هذا في المشاهد: أنَّ الماثل بين يدي أحد الملوك المشاهد له أشد خوفًا منه من البعيد عنه؛ بحسب قربه منه ومنزلته عنده ومعرفته به وبحقوقه، وأنه يطالب من حقوق الخدمة وأدائها بما لا يطالب به غيره؛ فهو أحقّ بالخوف من البعيد.

ومَنْ تَصَوَّرَ هذا حقّ تصوره فهم قوله ﷺ: «إِنِّي أَعْلَمُكم باللَّه وَأَشَدُّكُم لَه خَشية»[1].

وفهم قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره، من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إنَّ اللَّهَ تعالى لو عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِه وأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وهو غَيْرُ ظالمٍ لهم، ولَوْ رَحِمَهُمْ كانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم»[2].

وليس المراد به لو عذَّبهم تصرف في ملكه ـ والمتصرف في ملكه غير ظالم ـ كما يظنّه كثير من الناس؛ فإن هذا يتضمن مدحًا والحديث إنَّما سِيق للمدح وبيان عظم حق اللَّه على عباده، وأنه لو عذَّبهم لعذَّبهم بحقه عليهم ولم يكن بغير استحقاق، فإن حقَّه سبحانه عليهم أضعاف ما أتوا؛ ولهذا قال بعده: «ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم»،

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥١٣)، ومسلم (٤/ ١٨٢٩) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٥، ١٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٢٤٥)، وابن حبان (٧٢٧ ـ الإحسان)، وهو حديث صحيح.

يعني: أن رحمته لهم ليست على قدر أعمالهم؛ إذ أعمالهم لا تستقل باقتضاء الرحمة، وحقوق عبوديّته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها؛ فلو عذبهم والحالة هذه لكان تعذيبًا لحقه وهو غير ظالم لهم فيه، ولا سيما فإن أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم؛ فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم، فإذا عذبهم على ترك شكرهم وأداء حقه الذي ينبغي له سبحانه عذبهم ولم يكن ظالمًا لهم.

فإن قيل: فهم إذا فعلوا مقدورهم من شكره وعبوديته لم يكن ما عداه ممَّا ينبغي له مقدورًا لهم، فكيف يحسن العذاب عليه؟.

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أنَّ المقدور للعبد لا يأتي به كله، بل لا بد من فتور وإعراض وغفلة وتوانٍ، وأيضًا ففي نفس قيامه بالعبودية لا يوفيها حقها الواجب لها، من كمال المراقبة والإجلال والتعظيم والنصيحة التامَّة للّٰه فيها، بحيث يبذل مقدوره كله في تحسينها وتكميلها ظاهرًا وباطنًا، فالتقصير لازم في حال الترك وفي حال الفعل.

ولهذا سأل الصديقُ النبي ﷺ دعاء يدعو به في صلاته، قال له: «قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي ظلمتُ نَفْسي ظُلمًا كثيرًا ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنت؛ فاغْفِر لي مَغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ وارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغفورُ الرحيم»[1]، فأخبر عن ظلمه لنفسه، مؤكدًا له «بأنَّ» المقتضيةِ ثبوتَ الخبر وتحقُّقَه، ثُمَّ أكده بالمصدر النافي للتجوُّز والاستعارة، ثُمَّ وصفه بالكثرة المقتضية لتعدده وتكثره، ثُمَّ قال: «فاغفر لي مغفرة من عندك» أي: لا ينالها عملي ولا

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣١٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

سعيي؛ بل عملي يقصر عنها، وإنما هي من فضلك وإحسانك لا بكسبي ولا باستغفاري وتوبتي. ثُمَّ قال: «وارحمني» أي: ليس معولي إلاَّ على مجرد رحمتك، فإن رحمتني وإلاَّ فالهلاك لازم لي.

فليتدبَّر اللبيب هذا الدعاء وما فيه من المعارف والعبودية، وفي ضمنه: أنه لو عذبتني لعدلت فيَّ ولم تظلمني، وإنِّي لا أنجو إلاَّ برحمتك ومغفرتك، ومن هذا قوله ﷺ: «لَنْ يُنْجِي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: «ولا أنا، إلاَّ أن يَتَغَمَّدَني اللَّه بِرَحمةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»[1].

فإذا كان عمل العبد لا يستقل بالنجاة، فلو لم ينجه اللَّه لم يكن قد بخسه شيئًا من حقه ولا ظلمه؛ فإنه ليس معه ما يقتضي نجاتَه، وعملُه ليس وافيًا بشكر القليل من نعمه. فهل يكون ظالمًا له لو عذَّبه؟ وهل تكون رحمته له جزاء لعمله؟ ويكون العمل ثمنًا لها، مع تقصيره فيه وعدم توفيته ما ينبغي له من بذل النصيحة فيه، وكمال العبودية من الحياء، والمراقبة، والمحبة، والخشوع، وحضور القلب بين يدي اللَّه في العمل له؟ ومن علم هذا علم السر في كون إعمال الطاعات تختم بالاستغفار».

ثُمَّ ساق نحو ما تقدَّم له، وقال بعدُ: «فهذا ونحوه مما يبيِّن حقيقة الأمر وأنَّ كل أحد محتاج إلى مغفرة اللَّه ورحمته، وأنه لا سبيل إلى النجاة بدون مغفرته ورحمته أصلاً».

ومن أراد تمام الأجوبة فعليه بالكتاب المذكور، ضاعف اللَّه لمؤلفه الأجور[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٦٩).

(٢) «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص ٢٩٢ ــ ٢٩٤).

وقال الأستاذ الإمام مفتي مصر[1] حرس المولى وجوده في تفسير قوله تعالى ــ حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ــ : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٨][2]. تاب ــ بالمثناة كثاب بالمثلثة، ومعناه ــ : رجع. ويقال: تاب العبد إلى ربه، أي: رجع إليه؛ لأن اقتراف الذنب إعراض عن اللَّه، أي: عن طريق دينه وموجبات رضوانه. ويقال: تاب اللَّه على العبد؛ لأن التوبة من اللَّه تتضمن معنى الرحمة والعطف، كأن الرحمة الإلهية تنحرف عن المذنب باقترافه أسباب العقوبة، فإذا تاب عادت إليه وعطف ربه عليه.

والتوبة تختلف باختلاف درجات الناس، فعبدك يتوب إليك من ترك ما أمرته بفعله أو فعل ما أمرته بتركه. وصديقك يتوب إليك ويعتذر؛ إذا هو قصَّر في عمل لك فيه فائدة عما في إمكانه واستطاعته. وولدك يتوب إذا قصَّر في أدب من الآداب التي ترشده إليها؛ ليكون في نفسه عزيزًا كريمًا.

وكذلك تختلف توبات التائبين إلى اللَّه تعالى باختلاف درجاتهم في معرفته وفهم أسرار شريعته.

فعامة المؤمنين لا يعرفون من موجبات سخط اللَّه تعالى وأسباب عقوبته إلاَّ المعاصي التي شددت الشريعة في النهي عنها، وإذا تابوا من عمل سيِّىء فإنَّما يتوبون منها.

وخواص المؤمنين يعرفون أن لكل عمل سيِّىء لوثةً في النفس تبعد

---

(١) المقصود به الشيخ محمد عبده المصري.

(٢) من الجزء ١٣ من «المنار»، مجلد ٦.

بها عن الكمال، ولكل عمل صالح أثرًا فيها يقربها من اللَّه وصفاته. فالتقصير في الصالحات يعد عند هؤلاء من الذنوب التي تهبط بالنفس وتبعدها عن اللَّه تعالى؛ فهي إذا قصَّرت فيها تتوب، وإذا شمَّرت لا تأمن النقائص والعيوب، ويختلف اتهام هؤلاء الأبرار لأنفسهم باختلاف معرفتهم بصفات النفس وما يعرض لها من الآفات في سيرها، ومعرفتهم بكمال اللَّه جل جلاله ومعنى القرب منه واستحقاق رضوانه؛ ولذلك قال بعض العارفين: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

ومن هنا تفهم معنى التوبة التي طلبها إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والتسليم. اهـ.

* * *

---

*** فرغتُ من مقابلته بأصله المخطوط بخط مصنّفه عند أذان العشاء من ليلة الجمعة ٢٣ من رمضان المبارك سنة ١٤٢٠هـ، وذلك بقراءة الأخ الشيخ رمزي دمشقية وحضور جمع من الإخوة الأعلام والفضلاء الكرام: الشيخ نظام يعقوبي، وسعادة الدكتور عبد اللَّه المحارب، والشيخ مساعد العبد القادر، في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرَّفة زادها اللَّه تشريفًا وتعظيمًا، والحمد للَّه ربّ العالمين.**

**فقير عفو ربّه**

**محمد بن ناصر العجمي**

---

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
( ٩ )

# ثَمَرَةُ التَّسَارُعِ

## إِلَى الحُبِّ فِي اللهِ تَعَالَى
## وَتَرْكِ التَّقَاطُعِ


تَأْلِيفُ
العَلَّامَةِ الشَّيْخ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيّ الدِّمَشْقِيّ
( ١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ )

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ
مُحَمَّد بْن نَاصِر العَجْمِيّ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله
اجمعين وبعد فهذه رسالة سميتها [illegible]
ثمرة التسارع الى الحب في الله تعالى وترك التقاطع ذكرت
فيها شذرة مما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
فمما ورد في الحب في الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول
يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل
الا ظلي رواه مسلم عن ابي هريرة وعنه صلى الله عليه وسلم ان
رجلا زار اخا له في قرية اخرى فارصد الله له على مدرجته
ملكا قال اين تريد قال اريد اخا لي في هذه القرية قال هل
لك عليه من نعمة تربها قال لا غير اني احببته في الله قال
فاني رسول الله اليك بان الله قد احبك كما احببته فيه
رواه مسلم عن ابي هريرة وعن انس ان رجلا قال يا رسول
الله متى الساعة قال ويلك وما اعددت لها قال ما اعددت
لها الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت قال
انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم
بها رواه البخاري ومسلم وعن معاذ بن جبل قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى وجبت محبتي
للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين
في رواه مالك وفي رواية الترمذي قال يقول الله تعالى
المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون
والشهداء وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم
الانبياء

الورقة الأولى من «ثمرة التسارع» بخط المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين، **وبعد**:

فهذه رسالة سمَّيتها: «**ثَمَرةُ التَّسارع إلى الحب في اللَّه تعالى وترك التقاطع**» ذكرت فيها شذرة ممَّا ورد في ذلك عن النبي ﷺ.

فممَّا وَرَدَ في الحُبِّ في اللَّه تعالى: قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يقولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحابُّونَ بِجَلَالِي، اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». رواه مسلم عن أبي هريرة[1].

وعنه ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زارَ أَخًا لَهُ في قَرْيَةٍ أُخرى، فَأَرْصَدَ[2] اللَّه لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ[3] مَلَكًا، قَالَ: أَيْنَ تُرِيد؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي في هٰذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تربُّها[4]؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ.

---

(١) (٤/١٩٨٨).

(٢) (فأرصد) أي أقعده يرقبه.

(٣) (على مدرجته) المدرجة هي الطريق، سُمِّيت بذلك لأنَّ الناس يدرجون عليها، أي يمضون ويمشون.

(٤) (تَربُّها) أي تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك. من «شرح صحيح مسلم».

قَال: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّـهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّـهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». رواه مسلم عن أبـي هريرة[1].

وَعَنْ أَنَس أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُول اللَّـه، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَال: «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»، قَال: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ. قَال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَس: فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيء بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحَهُم بِهَا. رواه البخاري ومسلم[2].

وَعَن مُعَاذ بن جبل قَال: سمعت رَسُول اللَّـه ﷺ يقول: «قال اللَّـه تعالى: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، والمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، والمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، والمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» ». رواه مالك[3].

وفي رواية التِّرمذي[4]: «قَال: يَقُولُ اللَّـه تَعَالى: المُتَحَابُّونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِن نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ».

وَعَن عمر قَال: قَال رَسُول اللَّـه ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّـه لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ والشُّهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّـه»، قَالُوا: يَا رَسُول اللَّـه، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرَوحِ اللَّـهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّـه إِنَّ

---

(١) (٤/ ١٩٨٨).

(٢) البخاري (٧/ ٤٢، ١٠/ ٥٥٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٢).

(٣) فـي «المـوطـإ» (٢/ ٩٥٣، ٩٥٤)، وأحمـد (٥/ ٢٣٣)، وابـن حبـان (٥٧٥)، والحاكم (٤/ ١٦٨)، وصحَّحه الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣/ ٦٠٦).

(٤) (٢٣٩٠) وقال: «حسن صحيح»، وهو كما قال.

وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزنونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسَ»، وقَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]. رواه أبو داود[1].

وَعَن ابنِ عبَّاس قَال: قَال رَسُول اللَّـه ﷺ لأبـي ذرٍّ: «يَا أَبَا ذَرّ، أَيُّ عُرَى الإِيمانِ أَوْثَق؟»، قَالَ: اللَّـه وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «المُوَالاَةُ فِي اللَّـهِ، والحُبُّ فِي اللَّـهِ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان»[2].

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَال: «إِذَا عَادَ المُسْلِمُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ، قَال اللَّـه تعالى: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّة مَنْزِلاً». رواه الترمذي[3].

---

(١) في «سننه» (٣٥٢٧)، وفي إسناده انقطاع، إلَّا أنَّه حسن بشواهده التي منها: حديث أبـي هريرة عند ابن حبان (٥٧٣)، وحديث أبـي مالك الأشعري عند أحمد (٥/ ٣٤٣).

(٢) أخـرجـه الطبـرانـي فـي «الكبيـر» (١١/ ٢٥١)، والبيهقـي فـي «شعـب الإيمـان» (٩٠٦٨)، والبغـوي فـي «شـرح السُّنَّة» (١٣/ ٥٣) وإسنـاده ضعيـف جـدًّا؛ فيـه الحسين بن قيس الرحبـي، متروك الحديث، إلَّا أنَّ أصل الحديث حسن بشواهده التي منها: حديث البراء بن عازب، الذي أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦)، وابن أبـي شيبة في «الإيمان» (١١٠)، وإسناده ضعيف. ومرسل عمرو بن مرَّة: أخرجه وكيع بن الجرَّاح في «الزُّهد» (٣٢٩)، فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٣) في «سننه» (٢٠٠٨)، وأحمد (٢/ ٣٢٦، ٣٤٤، ٣٥٤)، والبخاري في «الأدب المفرد»(٣٤٥)، وقال الترمذي: «حديثٌ حسن»، وهو كما قال بشاهد له عند أبـي يعلى في «مسنده» (٤١٣٩)، وأبـي نُعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٧) من حديث أنس. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٣): «رجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان، وهو ثقة».

وَعَنِ المِقْدَامِ بن مَعْدِي كرب عن النَّبِـيّ ﷺ قَال: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبّه». رواه أبو داود والترمذي[1].

وَعَن أَنَس قَال: مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِـيّ ﷺ وَعِنْده نَاسٌ، فَقَال رَجُلٌ مِمَّنْ عِنْدَه: إِنِّي لأُحِبُّ هٰذَا للَّـه؛ فَقَال النَّبِـيّ ﷺ: «أَعْلَمْتَه؟»، قَال: لاَ، قَال: «قُمْ إِلَيْه فَأَعْلِمْهُ»، فَقَامَ إِلَيْه فَأَعْلَمَهُ، فَقَال: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ، قَال: ثُمَّ رَجَعَ، فَسَأَلَهُ النَّبِـيّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَال، فَقَال النَّبِـيّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكَ مَا احْتَسَبْتَ». رواه البيهقي في «الشعب»، وللترمذي نحوه[2].

وَعَن أَبِـي سَعِيدٍ الخدري أَنَّه سَمِـعَ النَّبِـيّ ﷺ يَقُول: «لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ». رواه الترمذي، وأبو داود والدَّارمي[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٢)، وأبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٤/ ٢٨٤ من تحفة الأحوذي، ط الهند، وقد سقط من طبعة إبراهيم عطوة)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزَّاق في «المصنف» (٢٠٣١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٩٦)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١٣/ ٦٦، ٦٧)، وإسناده جيِّد.
وأما رواية الترمذي فإنه أخرجها في «سننه» (٢٣٨٦)، ولفظها: «المرءُ مَع مَنْ أَحَبَّ، وله ما اكْتَسَبَ».
وإسنادها ضعيف؛ فيها أبو هشام الرفاعي محمد بن يزيد، شيخ الترمذي، ليس بالقوي كما في «التقريب»، والحسن البصري لم يصرح بسماعه من أنس، فتبقى لفظة: «وله ما اكتسب» ضعيفة، ومما يدل على ضعفها أنَّ الإمام أحمد أخرج هذا الحديث في «مسنده» (٢/ ٢٢٦، ٢٨٣) بسند جيِّد من حديث أنس هذا وفيه: «ولك مَا احْتَسَبْتَ».

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٩٥)، والدارمي (٢/ ١٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٣٧)، وإسناده حسن.

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». رواه الإمام أحمد، والترمذي، وأبو داود، والبيهقي[1].

وَعَن يَزِيد بن نعامةَ قَال: قَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا آخَىٰ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ». رواه الترمذي[2].

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ عَبْدَيْنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاحِدٌ فِي الْمَشْرِقِ وَآخَرُ فِي الْمَغْرِب؛ لَجَمَعَ اللَّه بَيْنَهُمَا يَوْمِ القِيَامَةِ، يَقُول: هٰذَا الَّذِي كُنْتَ تُحِبُّهُ فِيّ»[3].

وَعَن أَبِي رَزِين، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَلَاكِ هٰذَا الأَمْرِ الَّذِي تُصِيبُ بِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة؟ عَلَيْكَ بِمَجَالِسِ أَهْلِ الذِّكْرِ، وَإِذَا خَلَوْتَ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ مَا اسْتَطَعْتَ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَأَحِبَّ فِي اللَّه وأَبْغِضْ فِي اللَّه. يَا أَبَا رُزَين: هَلْ شَعَرْتَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ زَائِرًا أَخَاهُ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، كُلُّهُم يُصَلّونَ عَلَيْهِ ويَقُولُون: رَبَّنَا إِنَّهُ وَصَلَ فِيكَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٩٠، ٨٩٩١)، وفي «الآداب» (٣٠٨)، وإسناده حسن.

(٢) في «سننه» (٢٣٩٢) وقال: «غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، ولا نعرف ليزيد بن نعامة سماعًا من النبي ﷺ»، وإسناده ضعيف؛ وذلك لأنَّ يزيد بن نعامة ليست له صحبة. (تهذيب الكمال للمِزِّي ٣٢/ ٢٥٥)، وفيه سعيد بن سلمان لم يوثقه غير ابن حبان.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٦٠٦) وإسناده ضعيف؛ فيه حكيم بن نافع القرشي، ضعيف الحديث.

فَصِلْهُ، فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تعمل جَسَدَكَ فِي ذٰلك فَافْعَل»[1].

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَقَال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لعمدًا مِن ياقوتَةٍ عَلَيْهَا غُرَفٌ مِن زَبَرْجَدٍ، لَهَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَة تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الكَوْكَب الدُّرِّيّ»، فَقَالُوا: يَا رَسُول اللَّه، مَنْ يَسْكُنها؟ قَال: «المُتَحَابُّونَ فِي اللَّه، والمُتَجَالِسُون فِي اللَّه، والمُتَلاَقُونَ فِي اللَّه»[2].

روى البيهقي الأحاديث الثَّلاثة في «شعب الإيمان».

**ومِمَّا وَرَدَ فِي النَّهْي عَن التَّهَاجُرِ والتَّقَاطُع:**

قوله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَث لَيَالٍ، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». رواه البخاري، ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري[3].

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قال رَسُول اللَّه ﷺ: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسوا، وَلاَ تَجَسَّسوا، وَلاَ تَنَاجَشوا، وَلاَ تَحَاسَدوا، وَلاَ تَبَاغَضوا، وَلاَ تَدَابَروا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

وفي رواية: «وَلاَ تَنَافَسوا». رواه البخاري، ومسلم[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٦٠٨)، وإسناده ضعيف؛ فيه عثمان بن عطاء المقدسي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البزار (٣٥٩٢)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٨٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٨): «وفيه محمد بن أبي حُميد، وهو ضعيف».

(٣) البخاري (١١/ ٢١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٤).

(٤) البخاري (١٠/ ٤٨١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥، ١٩٨٦).

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ قَال: قَال رَسُول اللَّـه ﷺ: «يَفْتَحُ اللَّـهُ أَبْوَابَ الجَنَّة يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَمِيس، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّـه شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاء، فَيُقَال: أَنْظِروا هٰذَينِ حتَّى يَصْطَلِحَا». رواه مسلم[1].

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «يعرض أعمال النَّاس فِي كُلِّ جُمعةٍ مَرَّتَيْنِ، يَوْمَ الاثنين ويَوْمَ الخميس، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمنٍ إِلاَّ عَبْدًا بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاء، فَيُقَال: اتْركُوا هٰذَينِ حتَّى يَفِيئَا». رواه مسلم[2].

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُول اللَّـه ﷺ قَال: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ». رواه الإمام أحمد، وأبو داود[3].

وَعَن أَبِـي خِراش السُّلمي أَنَّه سَمِـعَ رَسُول اللَّـه ﷺ يَقُول: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». رواه أبو داود[4].

وَعَن أَبِـي هُرَيْرَةَ قَال: قَالَ رَسُول اللَّـه ﷺ: «لا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ

---

(١) (٤/١٩٨٧).

(٢) (٤/١٩٨٨).

(٣) لم يروه الإمام أحمد؛ وإنما رواه أبو داود (٤٩١٤)، وصحَّحه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/٢٢٣) ولم يعزه إلى مسند أحمد.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٢٢١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٠٤)، وأبو داود (٤٩١٥)، والطبـراني فـي «الكبيـر» (٢٢/ رقـم ٧٧٩)، والحـاكـم (٤/١٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (٦٢٠٧)، وفي «الآداب» (٣٠٢)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/٢٢٣): «إسناده صحيح».

يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاث، فَإِنْ مَرَّت بِهِ ثَلَاثٌ فَلْيَلْقَه فَلْيُسَلِّم عليه، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلام فَقَد اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ، وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ». رواه أبو داود(١).

وَعَن أَبِي الدَّرْدَاء قَال: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَام والصَّدَقَةِ والصَّلاةِ؟»، قَال: قُلْنَا: بَلَى. قَال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، وفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ هِي الحَالِقَةُ». رواه أبو داود، والترمذي(٢).

وَعَن الزُّبَيْر قَال: قال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُم دَاءُ الأُمَم قَبْلَكُم: الحَسَدُ، والبَغْضَاءُ؛ هِي الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، ولٰكِنْ تَحْلِقُ الدِّين». رواه الإمام أحمد، والترمذي(٣).

وَعَن أسماء بنت يزيد قالت: قال رَسُول اللَّه ﷺ: «لا يَحِلُّ الكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: كَذِبُ الرَّجُل مَعَ امْرَأَتِه لِيُرْضِيَهَا، والكَذِبُ فِي الحَرْبِ، والكَذِبُ ليصلحَ بَيْنَ النَّاسِ». رواه أحمد، والترمذي(٤).

---

(١) في «سننه» (٤٩١٢)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٦١٩٥)، وإسناده ضعيف؛ فيه هلال بن أبي هلال لا يعرف كما قال الحافظ الذهبي (الميزان ٤/ ٣١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٤، ٤٤٥)، وأبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٦٧)، والترمذي (٢٥١٠)، من طريق يعيش بن الوليد، أنَّ مولى لآل الزبير حدَّثه عن الزبير به، وإسناده ضعيف لجهالة مولى آل الزبير هذا.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٩، ٤٦١)، والترمذي (١٩٣٩)، وإسناده ضعيف، لضعف شهر بن حوشب، لكن يشهد له ما بعده، فهو به حسن.

وَعَن أُمِّ كلثوم بنت عقبة بن أبـي مُعيط قالت: سمعت رَسُول اللَّـه ﷺ يقول: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ويَقُولُ خَيْرًا ويُنمي خَيْرًا». رواه الشيخان[1].

وزَادَ مُسْلِم: «قَالَت: ولَمْ أَسْمَعه ـ تعني النَّبِـيّ ﷺ ـ يُرَخِّصُ فِي شَـيْءٍ مِمَّـا يَقُـولُ النَّـاسُ كَـذِبٌ إِلَّا فِـي ثَـلَاثٍ: الحَـرْبُ، والإِصْـلَاحُ بَيْـنَ النَّاسِ، وحَدِيثُ الرَّجُل امْرَأَتَهُ وحَدِيثُ الْمَرْأَة زَوْجها»[2].

قَـالَ الخطَّـابِـي: «هٰـذِهِ أُمُـور قـد يَضطرُّ الإنسـان فيهـا إِلـى زيـادة القَـوْلِ، ومجـاوزة الصِّدق، طلـبًا للسـلامة، ودفعًا للضرر. فالكذب في الإِصـلاح بين اثنيـن هـو: أن يُنمي من أحدهما إِلى صاحبه خيرًا، ويبلغه جميـلاً، وإِن لـم يكـن سمعه منـه؛ يريـد بذلـك الإِصـلاح. والكذب في الحرب: أن يظهر من نفسه قوَّة، ويتحدث بما يقوي به أصحابه ويكيد به عدوه. وأما كذب الرجل زوجته، هو: أن يعدها ويُمنِّيها ويُظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه؛ يستديم بذلك صحبتها ويُصلح به خلقها»[3]. انتهى.

والأحاديث في ذلك كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية لأُولي الهداية، والحمد للَّـه في البداية والنِّهاية، على يد جامعه محمَّد جمال الدِّين القاسمي.

---

(١) البخاري (٥/ ٢٩٩)، ومسلم (٤/ ٢٠١١).

(٢) مسلم (٤/ ٢٠١١، ٢٠١٢).

(٣) «معالم السنن» للخطابي (٧/ ٢٣٦ ـ المطبوع بهامش مختصر سنن أبـي داود للمنذري).

في ١٩ شوَّال سنة ١٣١٣[١].

* * *

(١) انتهيت من مقابلة المنسوخ بخط مؤلفه في السابع عشر من شعبان المكرم سنة ١٤٢٠هـ في الروضة الشريفة بالمسجد النبوي بدار السُّنَّة، المدينة المنوَّرة، على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام، والحمد لله رب العالمين.
ثُمَّ قابلته مرَّة أُخرى بأصله وذلك بقراءة الأخ في الله المحبّ جوهرة المدينة المنوَّرة المكنونة/ هانىء بن عبد العزيز ساب المَدَني، وذلك في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرَّفة يوم الأربعاء بين العشاءين في الحادي والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٤٢٠هـ.

# المحتوى


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| تصدير المجموعة الثانية من لقاء العشر الأواخر | |
| بقلم الشيخ نظام يعقوبي | ٣ |
| **رسالتَي سرِّ الاستغفار وثمرة التسارع** | |
| مقدمة المُعتني وفيها وصف النسخ المعتمدة في التحقيق | ٦ |
| ترجمة المؤلف | ٩ |
| **بداية رسالة سر الاستغفار** | ٢٥ |
| سياق الأحاديث الواردة في الاستغفار عقب الصلوات | ٢٦ |
| كلام ابن القيم في سر الاستغفار عقب العبادات | ٢٨ |
| خاتمة الرسالة | ٣٤ |
| **بداية رسالة ثمرة التَّسارع إلى الحب في الله وترك التقاطع** | ٣٧ |
| ذكر الأحاديث الواردة في الحب في الله | ٣٧ |
| ذكر الأحاديث الواردة في النهي عن التقاطع والتهاجر | ٤٢ |
| كلام الخطابي في الكذب المباح | ٤٥ |
| آخر الرسالة | ٤٥ |